علاء المرقب

إمكانية الإبداع لدى الكاتب الشمولي

بين السلب والإيجاب

دراسة نقدية

طبعة أولى إبريل 2019



بطاقة الكتاب

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

مسابقة شاعر / أديب النيل والفرات

الدورة الرابعة – إبريل 2019

الكتاب الفائز بالمركز الأول م

فرع الدراسات النقدية

عنوان المؤلف	إمكانية الإبداع لدى الكاتب الشمولى بين السلب والإيجاب
المؤلف	علاء المرقب
التصنيف	دراسة نقدية
رقم الإيداع القانونى	2019 - 7886
رقم الإصدار الداخلى	379 الطبعة الأولى إبريل 2019
عدد الصفحات	92 صفحة

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع

ثورة مصرية تشرق إبداعاً على الوطن العربي

رئيس مجلس الإدارة
ناجى عبد المنعم

مؤسسة النيل والفرات للطبع والنشر والتوزيع
أسسها الشاعر ناجى عبد المنعم عام 2017

رخصة مزاولة مهنة:58365 – سجل تجاري: – 13242 / 2017 – بطاقة ضريبية: 35—01—572
عضو عامل باتحاد الناشرين المصريين رقم 941 لسنة 2018
هاتف:01011256943 – 01116202218 – 01202541192 تليفاكس:020554372901
nagyegy200064@gmail.com النيل والفرات
alnilwaalfourat@gmail.com alnilwaalfourat
المقر الرئيسي:ج.م.ع محافظة الشرقية – العاشر من رمضان – مجاورة 13 – امام سنتر الـ13 – عقار 304

تقديم

الكاتب إنسان. ولكن ليس كغيره.

تلك رؤيتي حينما أريد أن أصف أي كاتب. هو يعيش مع الآخرين يبادلهم الحياة ، الأحاديث والمناسبات. يتعايش معهم ويسايرهم ويجالسهم. لكنه يعيش عالمه الخاص في داخله. فشحنات العواطف تختلف وحساسيته من المواقف مختلفة وردود أفعاله كذلك، وكل ذلك يتفاعل بداخله لينتج الأدب. إن ما يظهر من قلمه، ما هو إلّا خلجاته دفعتها ردود أفعال قد تبدو إرادية ولكنها في الحقيقة نتاج لمسبب ترجمته تلك الروح الشفافة القلقة. روح الكاتب.

ومثلما كانت لهذا الأديب ردود أفعال مختلفة أدت إلى نتاج أدبي كأن يكون شعرا أو نثرا أو مقالة أو قصة أو غيرها من أصناف

الأدب، فإن لكل أديب ردود أفعال مختلفة. فقد نراه عند البعض وعاء يطرح فيه حصاده، وهنالك من له أكثر من وعاء لأكثر من حصاد، فالإختلاف لايقتصر على طريقة التعبير بل حتى الطريقة التي قد تأخذ أشكالا مختلفة تسمى الأجناس الأدبية. ولا غرابة في ذلك طالما تكثر لدينا الشواهد، فحصيلة البحث قد تضعنا أمام الكثير من الأسماء التي ترجمت عطاءها الفني بطرق متعددة حتى أنها امتلكت أكثر من وسيلة لهذا التعبير، حتى يصل الأمر أن الكثير يتردد في إطلاق لقبا معينا على كاتب متعدد المواهب، فيذهب لتسميته بالكاتب أو الأديب، لكونه قدّم أكثر من جنس أدبي حتى وإن اشتهر بأحدها.

مايهمنا في هذا البحث ليس التعرف على هؤلاء فهذا أمر غير مستساغ ولكن الأهم أن نعرف إن كان التعدد في خدمة للقارئ أم لا؟ أو هل يخدم هذا الأمر الكاتب أم يشتت تركيزه؟

ومَـــن الأفضـــل، التعـــدد أم التخصـــص؟. لابـــد أن نصـل إلـى هـدفنا إذا مـا اسـتطعنا التركيـز فـي تلـك الدراسـة مـع إعطائهـا حقهـا مـن الأهميـة، لأنهـا مهمـة بالفعل وتضـع النقـاط علـى الحـروف فـي أمـر أصـبح محــلاً للخــلاف والجــدل، متمنيــا أن أقــدم شيئاً جديداً ونتيجة هادفة مقتعة.

لقد طرحت هنا وفيما يلي الكثير من الأسئلة التـي قـد تكـون فـي مخيلـة القـارئ أو المهـتم، وفـي نفـس الوقــت حاولــت أن يكــون فــي آخــر الأوراق إيضــاحات ونتــائج. آمــلاً أن تكــون كفيلــة بالإجابــة على تلك التساؤلات.

والله الموفق.

مدخل



حدثتني والدتي (رحمها الله) عن قصة لا تنتهي وكانت تضربها مثلا عن كل عمل قد يطول أو لا أمل من إتمامه. محتوى القصة يحكي عن ملك طلب من شعبه أن يحكوا له قصة لانهاية لها فاجتهد القصاصون في رواية ما يستطيعون؛ لكنهم فشلوا في سرد ما يريد الملك، حتى حضر شاب فقير من أهل المدينة وقص عن بيدر حنطة بدأ النمل بنقل حباته فصار يقول: دخلت نملة فأخذت حبة وذهبت ثم دخلت نملة فأخذت حبة وذهبت ثم دخلت نملة فأخذت حبة وذهبت... وهكذا استمر ذلك الفتى في سرد حكايته ولأيام متتالية مما جعل الجميع يصاب بالملل وأولهم الملك الذي سأله بعد عدة أيام وما هي بقية الأحداث؟ فأجابه الشاب: لأنتهي أولا من بيدر القمح. ففهم الملك أن لانهاية لهذا البيدر واختصر الأمر معلنا عن نجاح ذلك الفقير في كسب الرهان وقام بتسليمه الجائزة.

أستذكر هذا المثال اليوم وأنا انوي الخوض في ملف الأدباء الذين كانت لهم هوايات عدة في مضمارهم،

فمارسوا كتابة أجناس مختلفة من الأدب. منهم من نجح في كل ما كتب ومنهم من تميّز في جنس ولم يحقق ذات النجاح في جنس آخر وهنالك من لم يفلح في شيء أو لم يوفق في نيل فرصة حظ للظهور .. وحينها سنكون أمام قصة لاتنتهي بالفعل. وهكذا فالأدب حافل بالنتاجات والقافلة محملة بمتنوع الأجناس والألوان.

تعدد المواهب

مما لاشك فيه أن في داخل الإنسان طاقات إبداعية تتفاوت نوعيتها وكميتها مابين شخص وآخر، فمنهم من ينمّي موهبته ويطورها ويستغل كل الأجواء المتاحة كي يظهر على ساحة العطاء الأدبي ومنهم من يمتلك كل المقومات ولكنه ينزوي حتى لا يكاد يعرف

وقد يعرف بعد فوات الأوان بكثير حتى لاينعم بنجاحه. كذلك هنالك من يمتلك أكثر من موهبة تدعمها طاقة متوهجة لينتقل من عمل لآخر ومن جنس لآخر زارعا في كل ارض ما يناسبها من غرس ففي داخله ما يؤهله كي ينتج بتعددية ضمن نفس الموضوع ومنهم من تتعدد مواهبه بحيث لا يوجد أي رابط مابين موهبة وأخرى وهذا ما يندرج في لائحة العظماء كـ ليوناردو دافنشي الذي يعد معجزة لما يحتوي من طاقات إبداعية قد تصل إلى التضاد وليس التشابه فهو من اخترع المدفع وهو من رسم الجيوكاندا وهو نفسه الشاعر الموسيقار المعماري وعالم النبات والرياضيات!. هذا ما يجعلنا أن نصنف هذا الرجل على أنه استثنائي، وكونه استثنائيا لا يمنع التعددية، فتعدد المواهب أمر حاضر في الواقع. فلِمَ لاتتعدد ضمن العلم الواحد أو الأدب الواحد؟. والجواب باختصار ممكن ولكن السؤال القادم في حال إثبات ذلك: هل سيبدع الأديب في كل الأجناس الأدبية ـ كما أشرنا

سابقا- أم سيبقى مبدعا لتسمية خاصة وبقية الأصناف يمارسها من باب التنويع الذي يجد نفسه قادرا أو محبا لممارستها؟. هذا هو محور حديثنا في هذا الكتاب وماسنحاول التوصل إليه.

أدباء تعددت مواهبهم

الأجناس الأدبية متقاربة إن لم تكن متداخلة فجميعها تقوم على الكلمة والتأثير اللغوي وإن تعددت. لذا فمن الطبيعي أن نجد شاعرا يكتب المقالة أو روائيا يكتب القصة اذا استثنينا النقد والشعر اللذان يعتمدان على أسس إضافية غير الموهبة والحس الأدبي. فالشاعر يتعلم علم العروض والناقد يدرس أدوات النقد

ومسـميـاتـها وماعـدا ذلـك فالتشـابه يصـل إلـى أعلـى المراحل كما في القصة والرواية.

يرفـدنا الأمـس بأسـماء مهمـة عملـت علـى إصـدار نتاجات أدبية مختلف وأبدعت فتألقت في تلك الأجنـاس الأدبيـة. وعلى سبيل المثـال لا العد سنمرُّ علـى بعض الأسماء الأشهر..

- فرانسـوا مـاريو اورويـيـه (فـولتير) 1694– 1778 باريس

وهـو الفرنسـي الأشـهر مـن القـرن الثـامن عشـر والـى الان. ويعد هذا المفكر بالإضافة لكونـه فيلسوفا تنويريا أحد أهم الأدباء الذين خاضوا في مختلف منـاهل الأدب؛ فهـو مسـرحي وروائـي وشـاعر وصـحفي وقـد اسـتغل موهبتـه وأسـلوبه السـاخر بتصـعيد الخطـاب الفكـري ليكـون أحـد أهـم قـادة الثـورة الفكريـة فـي أورپـا فقـد تجـاوزت مقالاتـه وخطاباتـه العشـرين ألفـا بينمـا نشـر

أكثر من ألفين منشورا وكتابا وقد ترجم له طه حسين ثلاثة كتب (زاديغ، رسائل فلسفية و كانديد).

- ارنست همنغواي – 1899- 1961 أيداهو - الولايات المتحدة

الكاتب الأمريكي الأشهر والحاصل على جائزة نوبل للاداب عام (1954) بعد روايته الشيخ والبحر بسنتين.

كتب همنغواي القصة القصيرة والرواية والمقالة والمسرحية وتميز في كل ماكتب حتى أصبح الكاتب الأمريكي الأول، وقد تكون لهجرته إلى فرنسا الأثر الكبير في تطور قابليته بعدما عمل مراسلا صحفيا وارتدى البزة العسكرية لحربين عالميتين وكذلك إصابته بجروح خطيرة أقعدته. كل تلك الأحداث أثرت كثيرا فيه ولكن بشكل إيجابي رغم عمق وسوداوية كتاباته حتى اختتم حياته بالانتحار.

- بوريس باسترناك 1890- 1960 موسكو

صاحب رواية الدكتور زيفاجو الشهيرة عالميا والحائز على جائزة نوبل للاداب 1958 ورغم ذلك فيعرف على أنه من أشهر الشعراء في بلده الاتحاد السوفيتي وذلك يدل على تمكنه من مساحة واسعة في الأدب لتشمل جنسين مختلفين أجاد في كليهما. بل أضاف لذلك كونه مترجما حاذقا قد استفاد من ترجمة أعمال شكسبير إلى اللغة الروسية والتي أعطته إضافات على مستوى الانفتاح واكتساب جماليات الأدب ترجمها على الورق.

هذا الروائي الكبير كان له أشهر ديوان شعر في الاتحاد السوفيتي فكان مبدعا أينما حط رحاله على الرغم من الأجواء السيئة التي عاشها الاتحاد السوفيتي في عهد ستالين الذي رفض اعتقال هذا الأديب بعد أن وضعت أمامه أسماء المرشحين للاعتقال من الأدباء المناوئين لنظام الحكم.

- عباس محمود العقاد 1899-1964

أحد أشهر الأدباء العرب والحائز على جائزة الدولة التقديرية التي تمنحها جمهورية مصر إلى المبدعين المتميزين وذلك عام 1959.

قدم العقاد نفسه في أكثر من مجال أدبي فكتب في الفلسفة والشعر والنقد والاجتماع والتاريخ والكثير من المقالات فاستحق مانال من اهتمام لكونه تفوق في كل ماكتب.

إن أغرب مايلفت الانتباه لهذا العملاق كونه لم ينل سوى شهادة الابتدائية التي عيِّن بها على ملاك السكك الحديد. وقد تحدى هذا الأمر ليقدّم مالم يقدمه أصحاب الشهادات العليا بل قد يكون ذلك العائق هو الدافع الذي جعله يتحدى مجتمعه بما قدم وما نال من شهرة وسمو. بحق، هو أعظم نموذج للإنسان العصامي المكافح الذي أبدع كثيرا.

نموذج الكتاب

فيما سبق استعرضنا بعض الأسماء لأدباء كتبوا في أكثر من جنس أدبي وأبدعوا فيما كتبوا حتى تكاد تتساوى معايير النجاح مابين نتاجاتهم المختلفة ليصعب أن نحصر تفوقهم في مجال دون آخر، وقد اعتمدت هذه الأسماء من بلدان متباعدة لنرى أن البيئة والأوطان لاتغيّر من واقع الثقافة فالمبدعون موجودون في كل زمان ومكان مهما تغيرت ظروف المعيشة أو الثقافات والأوطان. إنها الموهبة التي لايمنعها شيء تثبت ذاتها متجسدة بشخص الكاتب الأديب. وهكذا نحن نجد في كل زمان ومكان من ينطلق في هذا الفضاء العظيم، فضاء الإبداع الأدبي وكان عدة أشخاص يعيشون في جسد واحد فينتج كل منهم مايمتلك من معين خصب وكأنه ينافس الآخر

الذي يعيش في نفس الجسد وإذا نحن أمام مائدة أدبية فيها أصناف مختلفة كل منها أجمل من الآخر.

قد يظهر السؤال الأول. على من سيقع الاختيار من الأدباء ليكون محور الدراسة؟. وحين يظهر الجواب فسيتبادر إلى الأذهان سؤال بديهي آخر. ولماذا هذا الأديب بالذات؟. الجواب على السؤالين سيكون ليس كما يظن القارئ، إن الشخص هو من أشهر الأدباء العالميين وأن سبب الاختيار، كونه معروف للكل والغالبية قد قرأت نتاجاته. حينها سيكون اختيارنا وجوابنا أمران لايرقيان للتجديد ولا لتقديم اجتراح في الأدب أو النقد الكلاسيكي الذي يقدّم دائما ماهو مكشوف ولكن بصيغة يفكر الكاتب أنها ثمرة جديدة، لكنه لايدرك تمام الإدراك أن لاثمر جديد لأن الأشجار هي نفسها. وما علينا فعله هو زراعة شجرة لم تزرع من قبل لنجني ذلك الثمر الجديد. وإذا أردنا أن نترجم ذلك على نشاطنا الذي نتكلم عنه فعلينا أن نقول: لابد من كسر المألوف لعرض نتاج أدبي يلفت

الانتباه؛ شريطة أن لايكون ذلك هو سر النجاح، فذلك وهم كبير. لان أسس النجاح تعتمد على شرطين أساسيين. الفكرة وصياغتها. أمّا تقديم نتاج بشكل جديد فما هو إلّا أداة فنية تعطي للعمل شكلا يجعله مطمعا للقارئ. لذا فالفكرة تقول إن الأدباء المعروفين ماهم إلّا لوحات تشبّعت بها العيون حتى حفظتها، ولابد من لوحة جديدة جميلة. أيضا، لتكون شكلا آخر لم تتم مشاهدته والتمتع بسحره.

كان لابد لي من اختيار أديب ليكون أنموذجا للدراسة، ومن خلال مطالعتي كانت قد تشكلت لدي فكرة عن كاتب عربي عراقي بصري، طالما صنع لنفسه صومعة انزوى بها بعيدا عن المجتمع الأدبي لتكون مجتمعه وتصبح نتاجاته القليلة المتنوعة هم أفراد ذلك المجتمع الذين صنعهم بنفسه وحاكاهم وهو يبدع مابين نتاج وآخر. هو كاتب قصص أطفال فاز بجائزة في هذا المجال وهو قاص فاز بمسابقة أيضا

في هذا المجال وهو شاعر متمكن من قصائده فيكتب العمودي والنثر والتفعيلة وهو روائي كتب روايته بأسلوب محبب وبسيط رغم ماتحمله من معاني جميلة.

عزيز داخل

سيرته

عزيز داخل كاطع

شاعر، قاص، روائي

تولد 1958

عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين /البصرة

بكالوريوس آداب / لغة عربية

بدأ النشر سنة 1985

مؤلفاته

تحت سقف الظهيرة (نصوص)

ذاكرة الرمل (مجموعة قصصية)

كشوفات السيد الرئيس(نصوص)

ذاكرة الماء(رواية)

نظم الأرجوان في قباب الزعفران(شعر)

ثمن الخلاص (مسرحية)

صاحب القطيفة (مسرحية)

الوطن والمنفى(نصوص)

الجوائز

المرتبة الأولى في مسابقة الروائي جليل المياحي للقصة القصيرة عن قصة (ذاكرة الرمل)

المرتبة الاولى في مسابقة قصيدة النثر التي نظمتها جريدة العشّار عن قصيدة (خطوات الياسمين)

المرتبة الثالثة في مسابقة نص مسرحي التي نظمتها قناة النعيم عن مسرحية (ثمن الخلاص)

وأخيرا فوزه بالمرتبة الأولى عن أفضل مجموعة قصصية للأطفال.

***

عزيز داخل هو الصديق الذي تعرفت عليه منذ فترة لاتتجاوز الثلاث سنوات فكنت خلال هذه الفترة أكتشف مابين حين وحين شيئا جديدا فيه يفاجئني. أتكلم هنا عن شخصيته كإنسان وليس ككاتب. فهو يحمل تواضعا يجعل من لايعرفه لايرفع عينه ليرى كم هو كبير، بل كان تواضعه وبالاً عليه في مجتمع يحتاج الكاتب فيه لبعض العجرفة والإعلان. فصرت أُسدي له النصيحة أن يظهر لأنه يستحق الظهور وكان يخيب أملي في كل مرة، فكما يقال؛ إن الطبع غلّاب. كنت كلما أبحث عن جواب لغوي أتوجه إليه وكلما أحتاج عونا أتوجه إليه؛ وإذا بغيري قد سبقني.

استفدت كثيرا من رجل يكبرني بـ13 عاما فهو من مواليد 1958 وقد تخرج من كلية الاداب قسم اللغة العربية. لكنه لم يكتف بما أعطته الكلية من مناهج في مجال اللغة فكان لغاية كتابة موضوعي هذا، طالبا للعلم. فكلما زرته وجدت على مكتبه المتواضع كتابا

في اللغة أو باقي فنون الأدب. وهذا لوحده؛ درس استفدت منه كثيرا.

سبق وأن كتبت عن كتابه كشوفات السيد الرئيس ثم استفزتني رواية ذاكرة الماء والحب في طبعتها الأولى لأكتب عنها قبل أن يغير اسمها في الطبعة الثانية إلى ذاكرة الماء. ولابد أن اذكر أمرا هاما يعيدني إلى تواضع هذا الرجل. رغم أنه يعد أستاذا لي بما قدمه لي وأعانني فيه، لكنه عرض روايته عليّ قبل أن يطبعها طالبا مني إبداء ملاحظاتي عنها. وفي وقتها لم أستطع أن أضيف لها شيئا لكونها كانت جميلة بالشكل الكافي لتكون رواية ناجحة.

عزيز داخل اليوم هو الكاتب متعدد المواهب والنموذج الذي اخترته ليكون محور دراستي. ليس لأن عزيز أفضل من تعددت مواهبه ولا كون أصحاب هذا الباب قلة ولكن هنالك أسباب موجبة أخرى تجعله المرشح الأنسب ومنها الحيرة التي ستصيب من يعرفه إذا طلب منه أن ينسبه إلى جنس أدبي دون غيره

حينها سيقول هو شاعر قاص روائي. لأنه في كل نتاجاته سيكون عزيز داخل وكأنها تجربة الأواني المستطرقة التي اختلفت أشكالها وتساوى بداخلها المنسوب فقد ذكرت سابقا بأنه فاز في مسابقات عدة وهذا التميز يجعله كاتبا شاملا. إضافة إلى ذلك فهو الكاتب الإنسان بما تحمل تلك الكلمة من جمالية كما أراها أنا ولربما يرى غيري بذلك مثلبة أن أقيّم الكاتب بأخلاقه وليس بنتاجه وأن أتجرد من العاطفة حين الاختيار ولكنني أرى أن حسن الخلق هي المفاضلة مابعد المستوى لكوني اخترته كاتبا ناجحا أولاً.

الحديث عن كاتب متعدد المواهب يعيدني لمثال قصة " النمل " وبالخصوص حينما تكون المعرفة شخصية فهي أكثر وأدق لأنها بالتماس المباشر.

الباب الأول

مؤلفات الكاتب والتعليق عليها

ارتأيت أن أقدِّم دراسة مختصرة عن كل كتاب لعزيز داخل مع نموذج كمحل تعريف مما يحتويه ذلك الكتاب حتى يتسنى للقارئ أخذ فكرة عن تلك المؤلفات قبل تقديم خلاصة شاملة. حينها ستتضح صورة وافية كما أردت من صياغة هذا الموضوع.

* ذاكرة الماء ـ رواية

تحكي الرواية عن شاب عراقي يسكن إحدى المناطق الشعبية في أقصى الجنوب (البصرة بالتحديد) ذو ميول دينية. فهو ينتمي لطائفة إسلامية تداوم على تأدية الشعائر الدينية وتلتزم بها كما هو حال غالبية المناطق الشعبية في العالم. ومن تلك الشعائر ماقام بها بطل روايتنا؛ فمن تلك الشعائر، زيارة يقوم

بها غالبية أبناء الطائفة لمرقد الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في ذكرى الأربعين يوما بعد استشهاده وقد واظبت تلك الجموع سنويا على هذه الزيارة حتى أن هنالك منهم من يقطع المسافة سيرا على الأقدام. أبناء الجنوب كانوا يستغرقون أياما عديدة قد تصل إلى أكثر من عشرين يوما كي يصلوا لموقع الزيارة وهي قبر الحسين في محافظة كربلاء وسط العراق. فكانت أحداث الرواية تدور ضمن فترة المسير التي قضاها البطل مذ غادر بيته حتى وصل لمدينة كربلاء وكان يدون كل مامرَّ به من أحداث في تلك الفترة ومن ضمنها ذكرياته القديمة التي راودته أثناء المسير.

المميز في الرواية أنها حملت الكثير من المعاني الإنسانية بالإضافة إلى كونها توثق مراسيم قد لايعلم عنها الناس في بقاع العالم وهذا من رسائل الأدب، فهو ينقل الثقافات ويتواصل مع العالم ليجعل المتلقي وكأنه في دائرة الحدث. ومع ذلك لم يغفل الكاتب عن

غرس الحب في نسيج العمل على شكل استرجاعات من ذاكرة البطل كما يروي تخليها عنه، ومعاناته في بداية النصف الثاني من الرواية بعد أن شدَّ القارئ لقصة حب تابعها بشوق متنقلا مابين أحداث المسير والذاكرة المليئة بالشجن . وهنا صار علينا ذكر بعض مما قاله البطل:

(.... هل عليَّ أن اطلب يدها؟)

بحر من الأسئلة وبحر من الأجوبة المشوشة. دوامة مخيفة بين موت قادم لامحالة وبين قلب يخفق ويضطرب ويحن إلى ندى.

انتابني قلق مخيف. كنت أرتب كل شيء لحسم الأمر والاقتران بندى قبل أن تأتي قريبتها وتهدم كل شيء.

فوجئت برفض قاطع وغريب من ندى في خطوتي الأولى لمعرفة رأيها قبل مفاتحة الأهل. ربما الوقت غير مناسب.

ولكني أردت أن أعرف رأيها مبدئياً.

لا تتعب نفسك... أول جملة قالتها ندى وبدون مقدمات. أنا لا أوافق.

ووعودنا والمواثيق وسنوات العمر التي قضيناها معا؟

كنت مخطئة وها أنا أكفّر عن ذلك. أشعر بالندم على كل لحظة قضيتها معك.

الخيانة... توقعت كل شيء إلّا الخيانة...

أغلقت الباب بوجهي ورمت رزمة من رسائلي وقالت: خذ أوراقك ولاتعد بعد الآن....))

هكذا كانت أحداثا يسترجعها المؤلف وهو يسير برفقة الالاف متوجهين إلى مراسيم زيارة دينية. اللافت للنظر هو الرابط الذي ضمّنه المؤلف في روايته مابين العبادة والحب إنها فلسفة الوجود لخَّصها بيسر وسهولة. لأننا كبشر لايمكننا التخلي عن الحب والعاطفة حتى ونحن في هيام وجداني

مقدس. فالحب هو الحياة وهو الديمومة والعبادات ليست سوى ارتباط روحي عاطفي كذلك. قالها المؤلف باختصار وهو يسرد مسيرة الأحداث. استطاع توظيف التضمين بشكل سلس يخدم النص ولا يشتت تواصل القارئ مع أصل الحكاية بل قد تكون أصل الحكاية هي الحب ولكن الأحداث الرئيسية هي الانعكاس. ويبقى باب الاحتمالات مفتوحا عن ثيمة العمل الرئيسية ولكننا في كل الأحوال أمام مزيج مابين أكثر من ثيمة في بوتقة واحدة هي الذاكرة التي أرادها عزيز داخل لتكون عنوانا لحصيلة عمله السردي.

هكذا عمل برر له الكاتب منذ البداية وفي أول صفحة على أنها أكثر من رواية فقد تكون قصة أو مذكرات وهو بذلك يشير الى أكثر من أمر. بالإضافة الى هروبه من مسؤولية تصنيف العمل كسرد روائي أو جنس آخر أو مزيج. ياترى هل كان يقصد التجديد؟ لن أجيب هنا. فالجواب لابد أن يكون لدى القارئ. وفي كل الأحوال أجد أن الجواب لمصلحة المؤلف. فلو كان

مجددا فهو قد غامر.. وذلك يحتاج لشجاعة وإمكانية وهذا من ضمن الأسباب التي دفعتني أن اختاره أنموذجا للدراسة.

من أكثر عوامل النجاح هي عناصر الشد والجذب في العمل السردي، فهي التي تجعل المتلقي في متابعة وترقب ولهفة وهنا تسهل عملية وصول الكاتب لذهن القارئ ووجدانه وبالتالي تمرير فكرته بسهولة ويسر، وهنا نجح داخل كذلك في التواصل مع القارئ من خلال الشد والجذب اللذان ميزا عمله وبالخصوص تنقله مابين وقائع الرحلة عبر مشاهد وفلاشات متواصلة ومابين الانتقال السلس للتضمين الذي اشتمل على قصة الحب التي أصبح ثيمة ضمنية ذات جذب واضح.

وأخيرا علينا أن نؤكد أن تلك الرواية حملت الكثير من أساسيات النجاح وبالتالي كونها عمل سردي مميز يرقى بالكاتب لمصاف الكتّاب الكبار. ولو

تخلّت المسابقات وتجردت عن الحساسية المفرطة من الأعمال الأدبية ذات الإشارات الدينية أو التوجهات الفئوية؛ لوجدنا تلك الرواية في مصاف الأعمال التي تحصد الجوائز. مع أن رؤيتي لاترى في هذا العمل النزعة الطائفية بل هو من واقع المجتمع الجنوبي وعاداته وتقاليده وهكذا ديدن أكثر الكتاب العالميين حينما يضمنون أعمالهم الكثير من حياة مجتمعاتهم وتقاليدهم بما تحتوي من نزعات أو توجهات.

الجائزة (قصص للأطفال)

ذكّرني هذا الموضوع بصديق لي كان زميلا في الدراسة الثانوية (خالد الدبيب) كان هذا الشاب- في حينها- يهوى العزف على الناي حتى أنه كان يحضر نايه الى المدرسة ليشجينا أوقات الفراغ من الحصص الدراسية. ولكني فوجئت في إحدى تمرينات فريق الساحة والميدان أن احدهم بين أفراد الفريق يتمرن

ليشارك في سباق مدارس المحافظة وهذه لم تكن الصدمة الكبرى لولا معرفتي بأنه عضو فريق الثانوية في لعبة كرة اليد. والصدمة لم تكن وقعتها هنا، بل حينما تفوّق في سباق الاختبار الأولي على جميع أعضاء الفريق. استحضرت هذا المثال وأنا أرى عزيز داخل يشارك في مسابقة لأدب الأطفال وهو الشاعر القاص. ولم تكن تلك إلّا دهشة أولية لحقتها صدمة إعلان النتائج وفوزه بالمرتبة الثانية. هكذا يكون المبدع ضمن فئته ولكن حينما يتنقل لكل المضامير فيكسب. حينها تكون كل المضامير لعبته المفضلة وهذا ماسأتحدث عنه في خلاصة. تلك الدراسة؛ أما الآن فلابد من إشارة بسيطة لهذا النتاج...

الجائزة وقصص أخرى(الفائزة بالمرتبة الثانية في مسابقة الروائي الراحل عبد الجليل المياحي).

عنوان مجموعة قصصية خاصة بالأطفال.

وهي عبارة عن عشرين قصة تهتم بالأطفال وتناقش اهتماماتهم بطريقة مبسطة تتناغم مع عمرهم البسيط. أهم قصة في المجموعة التي حملت عنوان المجموعة (الجائزة) وهي حوارية بين طفل وأبيه وهما يتمشيان وسط المدينة. الطفل يطرح أسئلة حول ما يشاهده من نقص في الخدمات وتحول المدينة إلى خراب والأب يحاول في كل مرة أن يتهرب من الجواب وأحيانا يجيب بدبلوماسية إلى أن يقرر البوح بكل ما عنده فيجيب: إن الحكومات المتعاقبة هي سبب هذا الدمار.

وهناك قصص أخرى : صانع الألوان وسواها.

من المتعارف عليه أن قصص الأطفال عالم أدبي قائم بذاته لايلجه إلّا من اختص بهذا المجال والقليل من التحارب لدى كتّاب القصة، ولكن أن نرى أديبا يدخل هذا المجال ويتفوق فيه فتلك طاهرة تستحق الوقوف عندها. لكون قصص الطفل تحتاج خبرة خاصة في هذا الجنس من الأدب بالإضافة الى أن كتّاب هذا المجال هم من المتمرسين والمتخصصين الذين

تمكنوا من أدوات العمل الخاصة. لكننا نقف بانبهار ونحن نشاهد كاتبا يشارك ضمن كوكبة المختصين ليتفوق عليهم. هنا نشعر أن هذا الشخص مبدع يستحق الإشادة وهذا مافعله داخل في مسابقة الراحل المياح، حينما تجاوز الجميع ماعدا صاحب المركز الأول ليكون وصيفا إليه ويضع اسمه ضمن الفائزين. ماهو تقييمنا لهذا الأديب؟ وماذا يمكننا ان نطلق على شاعر يسجل تفوقا في مجال قصص الأطفال؟ اترك الجواب. فكثير من الأسئلة لابد من الإجابة عليها في خلاصة الدراسة.

ثمن الخلاص ـ مسرحية

كما يعلم المطلعون بالأدب، أن الكاتب المسرحي يكون بالغالب كاتبا متخصصا بالنصوص المسرحية وهذا الجانب من فن التأليف أشبه ما يكون بالمستقل فعدد كتّاب النصوص المسرحية لا يقارن بمن يكتبون الشعر أو القصيدة أو الرواية، فهم أقل بكثير. كاتبنا لم يثنه ذلك من الولوج في هذا المجال في محافظة يعاني فيها المسرح من الإهمال وقلة المتابعين والمهتمين وفي فترة ظهوره ككاتب. كل ذلك لم يكن عائقاً. فمن أين جاء فكرة الكتابة للمسرح؟ قبل الإجابة لابد من التنويه أن هنالك خطأً في صيغة السؤال**!.** فالكتابة للموهوب لا تتم بفكرة أو قرار. إن هنالك شيئا يحفّزه كمولود في الأحشاء يكبر ليولد، هذه طبيعة الكاتب الموهوب. إنه لا يتصنّع الصنعة بل هي معجونة في كيانه ومتى ما جاء الكاتب بأفكار أو نتاجات ليست من ضمن المألوف أو الدارج أو حتى المجال الخاص به،

حينها نعرف بأنه كاتب بالفطرة وأن ما يقدمه ليس سوى جزءاً من خزين أو لونا من طيف قوس قزح.

قدم عزيز داخل مسرحية الخلاص خلافا للمتعارف عنه لكنه لم يقدمها كتجربة يريد أن يختبر نفسها بها، أو كتابة عبثية تضاف لرصيده، بل كانت عملا احترافيا وكأنها صنعته الأولى. لهذا فاز فيها عندما قدمها لمسابقة قناة النعيم الفضائية منتزعا المركز الثالث متقدما على كتّاب متمرسين في هذا الجنس الأدبي شبه المستقل. هذا النجاح ليس وليد صدفة وليس نجاحاً يتيما، لأن الكاتب صار يكسب لنفسه مكانا في كل المنافسات التي يقدم عليها، حتى تكاد تكون أغلب أعماله قد نالت جائزة أو نجاحا في مجالها. وهذا ما يكرر السؤال أو إجابته. هل ينجح متعدد المواهب أم أنه يضيع كل الطرق حتى طريقه الخاص أو الأساسي؟. الجواب حتما سيكون في الخلاصة التي من أجلها كتبت هذا الدراسة.

القارئ هو شريك القرار في هذا الكتاب، وهو من يحدد أخيرا نتيجة الفكرة، سواء بشكلها العام. وهو قدرة الأديب متعدد المواهب أو بشكلها الخاص، والذي هو أنموذجا لدراستنا. كما العادة نطرح شيئا من كل كتاب لتسهيل هذه المهمة. وهنا المشهد الخامس من مسرحية ثمن الخلاص:

(في السابعة تماما كان الشاب واقفا على باب المدير الذي يتأخر كعادته (في هذه الأثناء يأتي مساعد المدير وبحركة بهلوانية يُفاجأ بها الشاب :

صباح الخير أستاذ

الشاب وكأن صاعقة وقعت على رأسه: ص،ص صباح النور أهلا أهلا استاد

المساعد: أراك مرتبكا واعتيادي البارحة لم تنم الليل كله تفكر المهم النتيجة

الشـاب: أي والله البارحـة للصـبح لـم أذق طعـم النـوم أقلبها يمنة يسرة وفي كل مرة أتأكد أن المشكلة ليس لها حل

المساعد : وهل رفضت الفرصة

الشاب :لا لكن كلام المدير مثل حلم وأخاف أفز وأرى نفسي

المساعد مقاطعا : بـالعكس كـلام المـدير واقعي بشـرط تكون مخلص ولا تناقش على الصغيرة والكبيرة

المدير: أنت لاتخسر شيء كل المصاريف مـن الشـركة حتـى تعـرف أن شـركتنا عالميـة والـذي يعمـل عنـدنا لايرى إلا الخير خصوصا إذا ثبت إخلاصه

الشاب: والله لاأدري أنا في حيـرة وكلامـك استاذ علـى العين والراس ولكن هذا الصرف له مقابل أم هو لله ، والله لاأدري.

المدير: لاطبعا ليس لله ولكن تسهيل أمر وأنت تعرف الشركة فيها أسرار وهذه هدية مقابل أن تحفظ الأسرار، وهنالك شيء ثاني حتى لاتدخل بإشكال وأنت إنسان متدين، وحتى نمنع هذا الأشكال توقع على كمبيالات بالمبالغ وتسدده من الراتب وعلى راحتك

الشاب: استاذ رحمة على والديك أنا لاأضمن حياتي إلى غد وتريدني أن أنتظر سنين أسدد.

المدير: لايذهب بالك بعيداً هناك حل يوجد عندنا في الشركة وهذا الحل يفيدك ويفيدنا خلال الدوام

سوف تأتيك ترقية وعلاوات وإكراميات حسب نشاطك وهمتك واحتمال يسقط نصفهن أو كلهن.

الشاب: والله لاأدري استاذ اعطني مهلة أسبوع أفكر.

المدير: يا أسبوع الحالة لاتتحمل يوم غدا صباحا تأتي وتستلم الوظيفة وأبوك الله يرحمه ولا داعي للوهواس

الشاب: استاذ الله كريم لكن.

المدير: لا لكن ولا أي شيء قوي قلبك والله يسهل خلي عينك بعين الله)).

يكفينا ماعرضناه من هذه المسرحية كي نأخذ انطباعا عن طريقة المؤلف في كتابة المسرحية. وهل كان الروائي هو عزيز داخل الكاتب المسرحي؟. أنا على يقين أن الفارق كبير جداً، ولو تم عرض العمل المسرحي والروائي على أكثر من ناقد ومتابع فلن يستطيع أن يكتشف أن كاتب العملين هو شخص واحد. فأيٌّ جلباب ارتداه داخل حينما كتب مسرحيته؟ سؤال آخر يضاف لمجموعة الأسئلة التي سيأتي وقت الرد عليها فيما بعد.

ذاكرة الرمل (مجموعة قصصية)

يبدو أن تأثير الذاكرة كبير جدا على عزيز داخل. فبمجرد قراءة عنوان هذه المجموعة سنجد تشابه الاسم مع عنوان روايته كثيرا. فقد بدأها بـ كلمة ذاكرة وهو الاسم الذي بدأ به اسم الرواية ثم أكّد التشابه حينما ذكر كلمة الرمل بينما في روايته ذكر اسم الماء. إنه يتشبث بالأرض من خلال طبيعتها ولكن هذا التشابه لا يخلو من تضاد في ماهية الرمل والماء وهذا التضاد لا يمكن أن يكون عبثيا. فلماذا كان الماء؟ ولماذا كان الرمل؟. مما لاشك فيه أن الماء رمز للحياة والأمل أما الرمل فيترك انطباع الجفاف والعزلة، ولكن الاثنان يشيران إلى الأرض والارتباط بها. فما الذي يريد أن يوصله إلينا عزيز داخل من رسائل؟ وهل ذلك التشابه من قبيل الصدفة؟ أنا لا اعتقد أن هنالك صدف في المسميات لأنها تكون الانعكاس لفكرة الكاتب التي تبلورت على شكل حصاد أدبي، ولكن في داخل عزيز

ترقـد الخصـوبة فيظهرهـا الأدب الـذي يرسـله تحـت مسميات وكتابات متنوعة نتناولها الآن.

ذاكرة الماء اشتملت على ثلاث وعشرين قصة في مائة وأربعين صفحة نوّع الكاتب في أشكالها الفنية بشكل يعطي للقارئ التجدد وعدم التكرار. وقد أطلّت علينا بمضامين إنسانية جميلة زينتها الصياغة الأدبية.

مانلمسه في ذاكرة الرمل هو حسن الصياغة والرمزية غير المبهمة حيث اعتمد الكاتب التشذيب وعدم الإسفاف مختصرا الكثير مانعا المط والتمدد أن ينال من روح أفكاره، ولكن دون المساس بجمالية البناء الفني لا بل زادها ذلك فخامة وحسن سبك، وهكذا كانت القيمة الفنية تتماشى مع القيمة الأدبية بشكل ايجابي مطّرد، محصننا مادته الأدبية من أقلام المنتقدين، وحينما يصل الحديث الى هذه المجموعة القصصية أجدني قد احتجت لإضافة مقالا كتبته عنها حينما قرأتها أول مرة، وقلت فيه:

((وجدت شخصية الكاتب تلازم كتاباته ، فأسلوبه الشعري هي ذاته وقد تحولت الى سرد قصصي ، مما يؤكد الرأي القائل أن القصة القصيرة والقصيدة النثرية من جنس واحد ، حتى أني كنت اقرأ شعر عزيز في قصصه.

اختط الكاتب لنفسه أسلوبا مميزا، يعكس شخصية كاتب فذ، نقلني الى طبيعة القصص الأوربية في القصة القصيرة دون أن تحاكي أسلوبا غير أسلوب عزيز نفسه.

له شفافية في التعبير، رسمها من خلال رمزية تميزت بها أغلب صوره، كما أنه أجاد التمسك بمجتمعه وربط الأحداث بالواقع والمكان.

لم يكن سردياً بإسهاب، كما لم يكن مختصراً باقتضاب، مسك العصا من الوسط دون تصنّع، فكما ذكرت سابقا كان كما هو، وكما يشعر، وهذا ما أعطى قصصه تقبلا حين القراءة.

مـن وجهــة نظـري الخاصــة والتــي قـد يخـالفني بهـا البعض، أرى أن أسلوبه افتقد للحوار، مما يجعله يعمل ضمن نطاق واحد وهو رسم صورة من ذاكرة القاص، وهو اقرب للسرد حصراً.

لمسـت فـي هـذا الرجـل موهبـة جليـة ودفئـا فـي الحرف يشعرك انـك قريب جدا من ذات الكاتـب، وهذه صفة ايجابيـة، لكنهـا تحصـر العمـل فـي نطـاق محـدد بخيال يحتاج للتوسع أكثر.

عزيـز داخـل كـان مـن المفتـرض أن يكـون أكثـر شهرة، وأوسع مدى، فهو رغم خصوصية نصوصه، إلّا أنهـا مميـزة وتحمـل شخصـية كاتـب لـه مدرسـته الخاصة به وعالمه الشفاف.

تمنياتي له بواقع أفضل، فأنـه يستحق أكثر ممـا وصل إليـه، ولا أستبعد يومـا أجد هذا الرجل قد خـرج من نطاق المحلية لو سعى لذلك)).

من مجموعته القصصية ذاكرة الرمل

((تاملت شجرة السدر المتكئة بخشوع على الجدار الخارجي للبيت، ومن خلال أغصانها المتشابكة قفز عصفور صغير، ارتطم بحافة الجدار وسقط في بركة الماء التي تشكل دائرة حول محيط جذع شجرة السدر.

حاول العصفور الطيران. بذل قصارى جهده متشبثا ومتسلقا حافة البركة الملساء ليسقط من جديد.

برودة الماء وصعوبة الارتقاء لم تمنع العصفور من ان يجود بنفسه في محاولة يائسة للخلاص من هذه الورطة.

قطعت تأملي، مددت، التقطت الطائر المسكين، أدخلته إلى المطبخ وأجلسته في حجري أمام المدفأة، أحس بالاسترخاء بعد لحظات من تسرب الدفء الى ريشاته ثم غفا.

في غفلة مني، خفق بجناحيه وفر فزعا)) .

هـي تلـك الرمزيـة الواضـحة التـي لاتحتـاج الـى عناء التفسير وجهد التأويل. مثل تلك النصوص تكون قريبة ببساطتها وعمقها من المتلقي وتترك الانطباع الهادف والجميل أي أنها حققت المتعة والفائدة. معا وهو أقصى مايتمنى أن يناله القارئ جزاء استحصال كتابا ليقرأه. وعلى العكس من ذلك تكون النصوص عالية الرمزية والتي لاينفع معها فك الشيفرة كي نصل لمغزاها بل قد يصل بنا الحال أحيانا أن نيقن أن مثل تلك الكتابات لاحل لها ولا معنى أيضا فنشك بمصداقية الكاتب ونجفل من التعامل مع مؤلفاته التي لانستلذ بها. وفي حال عدم وجود تماس وقرب من النص فما نفع القراءة ومانفع تلك الكتابات. لذا نشك أحيانا بصدق من يمتدحها او يحاول تفخيمها، أما الطامة الأكبر فهي مديح من لم يفهموا منها شيئا لكنهم يمتدحون مالايفهمون خشية أن يتهمهم البعض بالسطحية والجهل.

عزيز داخل يبتعد كثيرا عن ما أسمّيه بالرمزية القاتمة، والتي لاعلاقة لها بالحداثة كما يظن البعض. إنما الحداثة تطورات جديدة أضافت الجمالية إلى الأسلوب الأدبي ليتناسب مع كل التطور الحاصل في مختلف مجالات الحياة، وليس العتمة كما يرى ذلك البعض. وأنا على قناعة تامة بأن النص الناجح هو من يجتمع حوله القرّاء كمّا ونوعا.

القصة القصيرة والتي تعتبر من الأجناس الجديدة في عالم الأدب إذا علمنا أن عمرها الأدبي قصير مقارنة بالقصيدة. لكنها مع ذلك حجزت لنفسها مكانا في الوسط الأدبي وأصبح لديها الكثير من الكتّاب والقراء إضافة لتطورها السريع إذا ما جعلناها الشريك السردي للرواية. كما أن في تطورها تنوعا لطبيعتها فأصبحت هنالك القصة الطويلة والقصة والقصة القصيرة والقصة القصيرة جدا. كل ذلك يزيد من جمهورها فهي سهلة القراءة لا تحتاج لوقت مما يجعلها تلائم عصر السرعة الذي نعيشه. فمن الممكن

أن تقرأ في الطريق وفي انتظار الباص وفي استراحة العمل وغير ذلك فتعطي ما هو مطلوب منها بيسر لذا فالكثير من أدباء الرواية مارسوا كتابة القصة القصيرة ومنهم من حقق فيها نجاحا باهرا لايقل عما حققه في الرواية ولدينا الكثير من الأمثلة وقد يكون أشهر من كتب ذلك، غابريل غارسيا ماركيز وأرنست همنغواي ونجيب محفوظ ولانغفل عن محور دراستنا عزيز داخل. لذا فمن الضروري أن نخصص مساحة لا بأس بها كي نتحدث عن القصة لدى كاتبنا.

فيما تقدم ذكرنا قصة الحلم والآن نضع على طاولة المشاهدة قصة أخرى ولتكن قصيرة أيضا.

رؤيا رجل جبان

(قال بصوت جهوري: هنالك وراء التلة يقف صاحبنا بانتظار الفتح.

زحف الناس باتجاه التلة وكلما اقتربوا تثاقلت قدماي.

علت أصوات قرقعة السيوف وصهيل الخيل فاكتوى قلبي بنار أخرى وارتبكت خطواتي.

تلفت يمينا وشمالاً لم يبق لوصول القوم إلى ساحة الحرب سوى أن ندور حول التلة.

غبار يعلو ولمعان سيوف تحت سقف الظهيرة *

وصوت ينادي بلحن شجي أما من ناصر ؟

القوم يركضون لطي آخر الخطوات، يزدحمون عن فتحة تؤدي مباشرة الى ساحة المعركة فيما كانت فتحة أخرى تؤدي إلى الجانب البعيد وفي لحظة الحسم جثا القوم أمام صاحبهم فيما كنت ادلف في فتحة

الخلاص لأهيم وحدي منفلتا في الصحراء ثم ساح دمي تحت قدمي وصوت خفيف يصرخ بي أما من ناصر؟

وقبل أن أجيب. سقطت من سريري)).

هذه قصة قصيرة أخرى من المجموعة نجد فيها الحكمة بطابع أدبي قصصي تحمله فكرة ناضجة اختار لها مشهدا تاريخيا طوّعه بلغة الكاتب المتمرس، وقد كان كبير الأثر لعنوان القصة أن لايجعلها كلاسيكية مكررة. فمشهد الختام وصحوة البطل من حلمه هي أمر مستهلك ولكنما عندما تكون القصة قد حملت عنوانا عن الحلم، أصبح من المفترض وجود الحلم. وهذا ماعمل عليه الكاتب. هنا لابد أن تكون فكرتنا قد اتضحت عن القاص عزيز داخل. كاتب له أسلوبه الجميل السلس. يحمل على الدوام المثالية مابين سطوره وكأنه يريد الإشارة الى عالمنا الذي بدأ يتخلى عن الخير مرغما بقوة الشر ونفوذه.

كشوفات السيد الرئيس ـ (نصوص نثرية)

كتيب صغير من ستين صفحة حمل 21 نصا كتبت في خمس وعشرين عاماً.

تتحدث تلك النصوص عن معاناة الإنسان العراقي في الفترة مابين 1978 ولغاية 2003 ومن الواضح أن تلك السنين هي فترة حكم الرئيس السابق صدام حسين. إذن نحن أمام فرد عراقي متضرر من تلك الفترة، فهو ينقل واقع حال أغلب الشباب الذين انقضت فترة شبابهم مابين الحروب ونتائجها حتى وجدوا أنهم قد تخطوا عمر الشباب بكثير دون أن يشعروا بجمال تلك الأيام وحلاوتها وهكذا انطلق كاتبنا مسترسلا بنصوصه التي سبقها إهداء صادم " إلى كل من يحن إلى أيام صدام". إنه بدأ مهاجما، وقد تحول الشاعر المرهف إلى رجل ثورة حتى وإن كانت على الورق.

يقول داخل في أحد نصوصه بعنوان ((نكتة)):

بعد دخول الجيش الإيراني مدينة الفاو

بذل القائد كل ما عنده لدخول أطراف مدينة مهران

فقال: مهران مهر الفاو

في ذات الليلة استعاد الإيرانيون مهران

هذا النص يحكي قصة مؤلمة جدا، وبالخصوص حينما يكون محل الهزء شخص، لكن جيشا كاملاً يشمله الفشل. وأي جيش؟!.

الحرب كر وفر، المنتصر مهزوم كما يقال، لأن كلا الطرفين سيخرج مثخنا بالجراح متكبدا الكثير من الخسائر. كاتبنا يعي ذلك جيداً. لكن كتابه يحكي عن قائد خصم.

لسنا بصدد تقييم ميول الكاتب، فنحن نعمل بمهنية حول جودة العمل بغض النظر عن تصوراتنا وانطباعاتنا العاطفية.

حمل النص تركيزا عميقا على مايشعره من خذلان ينتج رفض لواقع مرّ مفروض على الإنسان وليس بيديه سوى الطاعة. هذا القهر تبلور ليكون نثرا يوثق الألم والحزن الذي تحمله الحروب وتبعاتها. هذا هو ديدن الشعراء، فإحساسهم العالي يجلهم الأكثر تأثرا وبالتالي الأكثر تأثيرا. ومن منا لم تؤثر فيه كلمات عزيز داخل وهو يصف الانكسار الذي طال جيشا يحمل اسم وعلم بلاده، وبالتالي إنها حرب تنتهي باتفاق القادة فأي نصر يحمله الموت؟!

هذه الكشوفات أعادت إلى ذاكرتي الكثير من المواقف التي تتحدث عمّا تحمله الحروب من مآسي وويلات، وكذلك مدى تأثيرها على الكاتب وكيفية صياغتها. لقد أجاد داخل في وصف شعوره بنصوص قصيرة متماسة البناء واللغة والمعنى، فأصبحنا أمام كاتب نثري يضع بصمته المميزة على مايكتب، وكأنه يكتب النص النثري لاغير، فيهتم به أيما اهتمام. وهذا

دأب كل كاتب. أن يظهر أجمل مايستطيع من خلال نتاجه الأدبي دون التمييز مابين جنس وآخر.

تحت سقف الظهيرة (نصوص)

من يقرأ هذه المجموعة يسرح معها كحكايات. بدأها داخل بـ (الهبوط الأول لطفولة أولى) فكانت تحاكي القلوب وتهيج ذكريات الطفولة. فهو يروي فيها من حكايات طفولته مايشد انتباه القارئ واستمتاعه، ثم يتنقل إلى مواضع شتى مابين القصيرة والمتوسطة الطول من النصوص التي تتحدث بالغالب عن الوضع السياسي في البلاد. وبعض من القصائد الدينية بالغة التأثير فيقدم باقة منوعة خفيفة التناول ثقيلة المعنى والتأثير.

يقول داخل في نصه المستباح:

ماذا تخبئ

تحت عيونك من رؤى

أيها المستباح

من الوريد إلى الوريد

ماذا تخبئ

وراء غيمتك العقيمة

يامدركا أول النبع

ها أنت تهلك الحرث

أمد إليك يدي معترفا

بأنك أخي بعد طول الخصومة

هم يشيرون

إلى صدور النساء في حضرة الموت

وأنا أشير إلى جرح

أنا رغم بعد المسافة

قاب قوسين أو أبهى

وكذلك أختار نصاً آخر لتقريب صورة هذه المجموعة والتعرف عليها أكثر. ولنتذكر هذا النص جيدا، فله علاقة كبيرة بطبيعة الكاتب والتي تكلمت عنها في هذا الكتاب، فهو يعلم بأنه مبتعد عن المشهد الثقافي ويعلن عن الأسباب بوضوح..

الخلاص

إلى ....

تنبيه..........

الشاعر الحقيقي هو الشاعر المنسي

كنت الوحيد الذي يراك

أيها الذي لم أرك

أيها الطائر المكابر

والمتقدم على السرب

أيها المتوهم كثيرا

والسائر حد الوقوف

والمنتصر رغم قسوة الطعنات

وشراهة الموت

اهبط على ظهر الغمام

بقصائدك التي يعلوها الغبار

اهبط من الرفوف ،ودعها تطوف

أو دعها تطيش من السهام

إلى الحتوف

لوكنت فضا غليظ الشعر

لانفضت إليك الحروف

يأتي إليك الأصدقاء بعداواتهم

ولم تأتهم إلا محبا

لأنك الوحيد الذي بلا قلب

أيها المحب الغريب

و الأعزل الوحيد والمقاتل الأوحد

أمام قطيع ذئاب

أيها المتعب بالجد والكسول المبدع

خذ حروفك إلى المحرقة

فما عاد حارس الفنار على يقظته

أيها الفتى البدوي الجميل

إلى متى يستذلك النور؟

والى متى شبابيك تنتظر ؟

يا آخر الطيبين أبدل وجهك الخجول

الباب الثاني

الكاتب من خلال ماكتب

بعد ما اطلعنا على بعض من نتاجات الكاتب لابد وأن تكونت لدينا فكرة عن هذا الأديب وعن مؤلفاته. ومن هذا المنطلق نستطيع تقييمه على أساس مبدأ الفكرة. أي أن التقييم يهدف لتبيين فكرة الموضوع، فنحن كنا أمام النموذج الذي اعتبرناه محل الشاهد. لقد كنا أمام القصة والرواية والمسرحية والشعر والنثر وبلغني مؤخرا أن عزيز داخل يخوض (تجربة) النقد. وقد تكون كسابقاتها، نتاجا ليس بحلة تجربة بقدر ماهو نسخة نهائية لعمل أدبي ناضج.

أرى أن الكاتب الذي يتخلى عن التخصص ويكتب في غير مجاله الذي واظب عليه، يسهل عليه أن يكتب في أكثر من مجال. فمجرد الخوض في تجربة ثانية سيقدم على تجارب أخرى. على أن لايتخلى عن موطن إبداعه الأساسي. فما يتيح للكاتب الظهور والشهرة هو الخطوة الأولى والأهم لأنه الخطوة

الأصعب في الطريق أما التغيير فأسهل حتما بعد أن تجاوز مرحلة الخوف والقلق أو التردد. لذا فأغلب الكتّاب لايغامر في الولوج إلى مضمار آخر إلّا في حالتين؛ الأولى نجاحه فيما قدم. والأخرى فشله في بواكير أعماله. أما الذي لم يثبت أقدامه فيكون شغله الشاغل الاستقرار أولا ثم الانطلاق. وهذا حال عزيز داخل الذي بدأ شاعر فقاصا، وحينما اقتحم أجواء الرواية؛ حاول التنصل بطريقة أديب حاذق، فقال عليكم انتم تصنيف ماكتبت لأني لست متأكدا إن كانت رواية أو مذكرات أو غيرها. لكنه كتب على غلافها رواية! إنه يعي ماذا كتب لكنه يخوض تجربة جديدة فبحث له عن مخرج للعودة إن لم ينجح. إذن فالتحول إلى جنس آخر يحتاج إلى وقت ولكنه ليس بالمستحيل أو الصعب في حال امتلاك (الموهبة والأدوات).

ما هى الموهبة؟ وما هى الأدوات؟

قد يكون سؤالا متأخرا بعض الشيء أو أنها معلومة هضمت لدى الكثير ويعتبرها أصحاب الأدب، من المعلومات الابتدائية أو لنقل البدائية. قبل الإجابة على السؤال لنبدأ بتعريف أدوات التعريف. فماهو المقصد من تصنيف كلمة على أنها ابتدائية أو بدائية ولمَ هاتين الكلمتين بالذات؟.

كما نعلم جميعنا أن مقومات كل شيء تبدأ مع نشأته فرضاعة الطفل من أمه تولد معه ولاحاجة لتعليمه ذلك. كذلك التنفس فهي فطرة تنشأ مع الاحتياج لذا لاداعي لذكرها فالجميع يكون قد علمها سلفا وهذا يعتبر أمرا ابتدائيا وحينما نطلق على معلومة ما، أو وصف لشخص فنقول عنها بأنها من ألف باء العمل أو أنه أمر ابتدائي؛ أي بدأه الشخص أولا فأصبح جزءا من طبيعته، أي من بواكير ماتعلم وبدأ؛ وهي مراحله الأولى التي تغرس بداخله والأقرب

ماتكون للفطرة. وهكذا أمران ابتدائيان نحن مع أبنائنا، فمنذ نشأتهم نصبح على دراية بميزاتهم ونبدأ باكتشاف قدراتهم وميولهم وبالغالب نقوم بتنميتها حينما نشعر أنها (إيجابية). لذا، حينما نطلق على الموهبة والأدوات على أنهما فنعني أن الكاتب ولد كاتبا وهذه الموهبة ومتى ماظهرت تكون قابلة للتطور والنضج ومايطورها ليس سوى الأدوات. لهذا يكون الارتباط مابين الموهبة والفطرة ارتباط قديم لايمكن فصله، فالطفل الرسام هو من يبحث عن أدواته حتى قد تكون مسمارا يخدش فيه الجدران ليحوّل الانطباع الذي بداخله إلى تشكيل ظاهري .. وهكذا كل الهوايات والمعارف. فيكون المسمار أداة الطفل التي بدأ بها ثم تقوم حاجته بتطويرها أو البحث عن أدوات مطوّرة لتساعده في عمله وهكذا حال أصحاب جميع الحِرف وبما فيها الأدب. ثم يتحول العمل من بدائي إلى ناضج مرورا بمراحل متعددة تساهم فيها الأدوات التي تتطور باستمرار. ولهذا تكون الموهبة فطرية بما تحمل

الكلمة من معنى وحينما يصبح الإنسان شاعرا فإنه خلق شاعرا فأفصح بعد ذلك ولم يتعلم الشعر أو يكتسبه بل قد يكون طوّره وهذبه وهكذا الحال مع كل المواهب. ولكون موضع دراستنا هو الأدب فسنقول أن كل جنس أدبي لم ينشأ ويتطور إن لم يكن فطريا جينيا، فظهر بعد ذلك بدائيا ليكمل تطوره ونشأته حسب ماتوفر من ظروف وأدوات مساعدة. وهنا أجزم أن من غير الممكن أن تكون أي موهبة، أمر مكتسب.

ـ الموهبة والأدوات

الموهبة كما أراها؛ المادة الخام في فطرة الإنسان وكما أسلفت، لايمكن أن تكون مكتسبة فهي كما لون العين وبصمة الإصبع ونبرة الصوت. أمر يولد مع الإنسان وفي الغالب يظهر بالتدريج ويتطور بالممارسة والخبرة والتنمية أما الأدوات فهي على العكس من الموهبة، فهي مكتسبة تزداد بازدياد التعلم

والاستنباط. لكنهما يكملان بعض وينتج دمجهما عن ظهور أفضل النتائج في كل المجالات.

أستطيع أن أشبّه نوع الموهبة بالنقاء فقد تكون هنالك مواهب غير نقية كما المعادن الخام وهنالك من المواهب تكون عالية النقاء وتلك يسهل التعامل معها وتعطي نتائج أفضل دائما. أما الأدوات فتعتمد على الشخص نفسه وقابليته على تطوير نفسه وقابليته لتنمية تلك الموهبة وصياغتها بالشكل الأمثل لتكون بالشكل الأجمل. والكاتب كما كل إنسان يولد وبداخله تلك الموهبة وفي نفسه قابلية التعلم التي متى ماوظّفها بالشكل الصحيح ظهرت بالشكل الأمثل. غايتنا في ذلك بما يخدم موضوعنا، هو الاختلاف الوارد مابين موهوب وآخر في كمية مايمتلك من مواهب. فهو كالأرض التي يغرس فيها بذر واحد فتنتج نوعا واحدا من المحاصيل وتعتمد جودته على أمور ثلاثة؛ الأرض، البذرةو العناية. فهنالك ارض تنتج عددا متنوعا من المحاصيل كذلك تعتمد على

تنوّع البذر وعناية الفلاح بمحاصيله وأي ناتج يلاقي العناية الأفضل فلابد أن يكون هو الأجود والأفضل. الأمر أقرب مايكون محسوما، فتوزيع هذه الثروة (الموهبة) غير متساو بالمطلق فكما قلنا هي بذور كلما تعددت تعدد الناتج والإنسان ليس سوى الأرض المنتجة وفلاحها قدرة ذلك الإنسان وقابلياته. خلاصة القول توصلنا إلى مرمى واحد لاغير. إن تعدد المواهب أمر ليس بالغريب بل هو دارج وارد ولكن قد يكون الكاتب متعدد النتاجات معطاء في جنس أكثر من البقية، وقد يبدع في كل مايكتب وكل ذلك له أسبابه، وأستطيع في معرض الحديث عن الأسباب التي تساوي قدرته أو تميز جنس على آخر أن أوجز الأمر بما يلي:

1ـ التفاوت الفطري مابين قدرة وأخرى للكاتب في نتاجاته.

2ـ حب الكاتب لجنس أدبي أكثر من باقي مواهبه يجعل منه مبدعا فيما يحب.

3- تنمية إحدى مواهبه عن طريق المتابعة أو المطالعة أو الدراسة تجعله متمكنا منها أكثر من الأخريات.

4- مزاجية الكاتب وعدم اهتمامه بالقابلية التي يمتلكها تؤثر سلبا على تساوي إبداعه في جميع مواهبه.

هذا فيما يخص تميّز جنس أدبي على حساب باقي الأجناس التي يكتب فيها. أما عن تساوي عطائه في مختلف مايكتب فيمكن القول بأن ذلك يرجع لحرصه أن يبدع في كل مايكتب طالما يمتلك مواهب متعددة لذلك يقوم على تطوير تلك المواهب والمساواة فيما بينها، إلّا في حال أن تتميز موهبة على أخرى فطرياً.

طوبوغرافيا الكاتب

لكل كاتب توجهات خاصة بداخله، فهو كما أي شخص عادي يفضّل أشياء وينفر من أشياء أخرى. له طبيعته وميوله التي من الصعب أن يتخلى عنها بالمطلق أو لاتظهر مابين سطوره. لذا فنجد له مساحات يتحرك ضمنها وكلما اتسعت تلك المساحات وتنوعت جغرافيتها أصبحت له قدرة اكبر وتفاعل بنتاجه مع شرائح اكبر من القراء وبعكس ذلك فهو ينحسر وينزوي ضمن مجال ضيق يتحرك بداخله فيكون اقرب للتخصص بل وقد يصبح متخصصا دون أن يعلم. فالولاء الخاص يفقده التمييز وبالتالي التميّز وهي من أسباب تسمية البعض بلقب يحد من اتساعه.

عزيز داخل يحاول جاهدا أن يفك هذه القولبة فقد تحرك باتجاهات مختلفة وحاول تنويع فكره الأدبي كما تنوعت قابلياته وبالتالي الأجناس التي كتبها، ولكن

تعذّر عليه ذلك فلم يستطع التخلص من النزعة الدينية التي غلبت على مفردات أعماله الأدبية وكأنه يعيش اللاشعور الجمعي وذلك ماأعطى كتاباته الصبغة الدينية وقد يكون للبيئة الاجتماعية الأثر الأكبر في ذلك إن لم يكن الأمر ولاء فكريا. فقد كتب في الشعر ديوان قباب الزعفران في مديح آل بيت النبي التي أعادت للواجهة روايته ذاكرة الماء التي جعلناها حكايات اجتماعية بعد أن اعتبرنا أن الطقوس جزءا من المجتمع ولكن بمجرد ظهور عمل ذو طابع ديني صرف يؤثر ذلك على تصنيف عمله السابق فيعطي انتباها للقارئ بأن هذا التوجه كان مقصودا منذ البدء أما بقية النتاجات فقد أخذت الشكل السياسي والاجتماعي وهي أقرب الأصناف إلى الشكل الديني وبذلك يحتل مساحات جغرافية تشكلت متداخلة بسبب التشابه، وهنا ندخل لجدل بديهي، هل ذلك من السلب أم من الإيجاب؟ ورغم أننا لانستطيع بأي شكل من الأشكال تحجيم الموردين الديني والسياسي في الأدب

كما لايمكننا اعتبار ذلك عيبا. لكننا لانستطيع إنكار الانحسار الذي سيشمل مساحة أديب اشتغل بأغلب إن لم نقل كل أجناس الأدب وأنه أبدع فيها. فالقياسات النقدية بالمطلق تعطي للتنوع إيجابيات كثيرة وإن لم تكن تعتبر التخصص أمر سلبي وهذا مايمكّننا أن نضرب مثالا عن بعض الكتّاب الذين أخذ عنهم بأنهم مالوا إلى لون واحد دون غيره رغم إبداعهم فيه كالشعر عند نزار قباني والرواية عند إحسان عبد القدوس واللذان اشتهر عنهما الكتابة للمرأة والغرام رغم أنهما أنجزا بغير ذلك، فقباني أحد أفضل من كتب الشعر السياسي، لكن الشهرة غلبت عليه بأنه شاعر المرأة بينما بزغ اسما أحمد مطر ومحمود درويش كشعراء قضية أو أنهما من كتّاب الأدب السياسي وهكذا التصق بالكثير من الأدباء لقب سببه التميّز أو الميول وبقي ذلك لصيقا بهم مع تعدد الانجازات وتنوعها ولكن الشهرة استمدت وجودها من تكثيف الكاتب أو ميزته.

ديوان نظم الأرجوان في قباب الزعفران لعزيز داخل زخر بالعديد من القصائد العمودية وبعضا من نصوص التفعيلة والنثر أي انه نوّع الكتابة ضمن هذا الديوان لكنه وحّد الموضوع وجعله مختصا بآل بيت النبي. إنها النزعة الظاهرية الواضحة والتي ستصبح سمة ذلك الأديب فيما بعد وإن غيّر في موضوعاته مستقبلاً. فمن الصعب نزع الألقاب بعد منحها. وبالخصوص في عالم الأدب. ولي الثقة بأننا لو توجهنا بسؤال لعزيز داخل عن ميوله لو أراد أن يكون مختصّا أو أننا صنفناه ككاتب ديني ذو اتجاه خاص لما نفى الأمر أو تقبله بالقبول على اقل تقدير علما أن الاختصاص داخل الأدب يعد ميزة إذا ماتمكّن الكاتب منه وفرض فيه قيمته بجودة العطاء. وهنا تتكرر كلمة الميزة أكثر من مرة ولابد من الإشارة لها بما يوضح مفهومها وعلى الأقل ضمن نطاق هذا الكتاب.

الميزة والتميّز في أدب عزيز داخل

بالشكل العام يطلق على من يتخذ لونا أو شكلا لايشبه غيره بأنها ميزته عن غيره وهنا تظهر كلمة متشابهة بالشكل والنطق والمعنى وهي التميّز والتي تستخدم للأكثر خصوصية فمن الممكن أن يكون الشخص متميزا في ميزته أو تخصصه بين أقرانه وقد يقال لأديب ما؛ بأن ميزته الكتابة عن المجتمع وحينها سيكون متميزا إذا مازادت خصوصيته أو تفوق على أقرانه في اختصاصه هذا. وإذا ماميزنا كاتبا في الأدب قد لايعني ذلك بأنه متميز في هذا اللون الأدبي. وبما أننا نخوض في أدب الكاتب عزيز داخل وقد ألبسناه ميزة خاصة فعلينا أن نتابعه ضمن هذه الميزة. فهل كان داخل متميزا فيما قدم في الأدب الديني؟. بعد تلك المقدمات والاستعراض لأدب عزيز داخل أتى الجواب على السؤال الأكثر عمقا. فنحن قد تجولنا مع الكاتب من مرحلة إلى أخرى حتى وصلنا إلى موقعه في

اختصاصه، وهنا نكون بحاجة إلى مقدمة من الشواهد تدعم إجاباتنا على هذا السؤال الأصعب.

بعض مما قدّم داخل في ديوانه نظم الأرجوان:

من قصيدة ((محمد في حضرة المعنى))

الأرض مجدبةٌ وزرعكَ أخضرُ
وإلى رباك بكل وجدٍ أنظرُ
كم قد حفظتُ وبي عراقٌ ناسكٌ
يرنو إليكَ وشوقهُ يتفجّرُ
ينسلُّ كالآمال اسمُ محمدٍ
فكأنما صوت القيامة يهدرُ
ومشيت تدفعني سحابة عاشقٍ
في كلِّ ثانية تئِن وتعصرُ

أدنـو إلى طـه المسجّى خطــوةً

في حضرة المعنى أطلُ وأذكــرُ

هب لي بياض الحبِّ وحدك مغرمٌ

للوجد في عينيك عشقٌ مقمــــرُ

قم فالبياض على ثــراك مبعثــرٌ

وسحابــة سـوداء فينـــا تكبـــــرُ

<u>ومن قصيدة عراق يوسفيّ</u>

لم ألق يوسف ملقى داخل الجبِّ

ولا دمـاً نازفاً من عضــة الذئبِ

ولاقميصــاً سيتلو قبـح فعلتـــهم

ولارواحا سيحكي قصـة العشبِ

يدبُّ شـكٌّ فلا قلبٌ يطاوعنـــــي

فهل أكـذّبُ مايفتي به قلبــــــي

يعقوب لاتأمن الأخوان في وطني

شمّاعة الذئب دلّتني على الحربِ

وجهة نظر ووجهات..

لكل كاتب وجهة نظره كما لكل قارئ ذلك، فقد تختلف الانطباعات مابين شخص وآخر وهذا الأمر يعد ذائقة شخصية لاخلاف عليه، وتبقى للفرد نظرته الخاصة للأشياء. قد يختلف بها مع الآخرين وقد يتفق او يتقارب. ولكن .. لابد من الفصل مابين نظرة التشخيص ونظرة الاستمتاع. الأولى هي رؤية ناقد والأخرى نظرة مشاهد، ومابين الأولى والثانية فارق واضح، وإذا أردنا الخوض في ذلك بما يخدم دراستنا لابد أن نشخّص كل حالة على حده، فنظرة القارئ قد تتباعد من شخص وآخر وقد يصل التباعد الى التضاد، فما يراه س من الناس لأمر ما قد لايتشابه مع نظرة ص من الناس فلا ضوابط تجمعهم وتبقى الأمور خاضعة للثقافة أو المزاج أو الذائقة الخاصة وغيرها من الأمور التي تخلق التفاوت، فقد يصل الاختلاف لغاية ماهو ناجح من الأعمال الأدبية والفنية هي نظرة استمتاع والتي قد يتفق عليها الأغلبية. ومايمتعني قد

لايمتع غيري وهكذا. أما لدى فئة المتخصصين فالأمر مختلف تماما ومن غير المنطقي أن يتفق نقّاد على نجاح أمر ما ويخالفهم ناقد اخر فأسس النجاح تعتمد على مقومات وأسباب الفشل كذلك، ولامكان للمزاج هنا فالناقد والمتخصص يتجرد عن عاطفته إزاء أي عمل أدبي وخلاف ذلك فسيكون تقييمه وبالا عليه لأنه سيصطدم بزملاء المهنة من المتخصصين. لذا فسيلتزم الحذر قدر المستطاع ودقة تشخيصية ترفع من نقاط تقييمه الايجابية والعكس للعكس. فهنا تصغر مساحة وجهات النظر ليحل محلها الضوابط والمنطق وقواعد متعارف عليها لذا فمجال الاختلاف لايصل للتضاد ولا حتى للتباعد فتكون بعض الجزئيات هي الفوارق التي تظهر مابين ناقد واخر أو قد لاتكون هنالك أي اختلافات فيتفق الجميع على رأي واحد وإن لم يتفقوا.

تباين وجهات النظر التي نتحدث عنها قد تختلف لدى قرّاء كتب الأدباء متعددي المواهب ومنهم عزيز داخل ولكن أصحاب الشأن الأدبي وإن اختلفوا فلن

يحيدوا عن أصل التقييم، ونجاح عزيز داخل في عدة مسابقات مختلفة ونيله الجوائز لايمكن أن يجعل من هذه الأعمال موطن اختلاف وليس تضاد. لذا فموارد التقييم ستكون متقاربة في عمله القصصي للأطفال الذي فاز وقصيدته التي فازت ومسرحيته ومجموعته القصصية كذلك. لقد توزع اهتمام الكاتب على جميع الأجناس الأدبية التي كتب فيها حتى نال التميّز بين مؤلفيها وكان ابن ذلك الأدب وليس طارئا عليه. لقد خرجنا بجولة استكشافية فيما سبق بين أعمال عزيز داخل وربما تكون المختارات القليلة من أعماله لاتفي بالغرض من اجل دراسة وافية عن كتابات هذا الأديب لكنها بالطبع كافية لان نتعرف على انه يمتلك القلم الشيّق الذي يصل للقارئ ولو من خلال أسطر قليلة. إذا ما تعرفنا عليها على أنها محل شاهد وان ماحصل عليه يؤكد علو كعبه. فتجتمع وجهات النظر جميعا لتتقارب وبالتالي هي تقارب لفكرة الطرح الرئيسية التي بنيت عليها دراستنا.

اختيارنا لأسم لم يطرق باب الشهرة كما فتحت أبوابها للأسماء التي أصبحت علامات فارقة في تاريخ الأدب، كان اختياراً في غاية الأهمية فنحن نبحث عن نموذج لايعد معجزة أو أمراً استثنائيا، بل هو إمكانية لم تجد طريقها الى المحيط العالمي أو حتى العربي ، وقد يأتي اليوم الذي يشاد بهذا الكاتب الذي كتم إبداعه ، لا لشيء، ولكن مازال يفكر بأن الأدباء الكبار صرح خاص لأناس لايمكن النفاذ بينهم. بينما الذي أراه أن الإبداع والسعي يصنعان اسم الكاتب الى خارج محيطه، وخلاف ذلك يحدث أن تلعب الصدفة دورا أو الإعلام.

ميول الكاتب

في معرض حديثنا عن عزيز داخل توصلنا الى انه كاتب ذو ميول دينية. فهل صح ذلك أم لا؟ وإن لم يصح فمن الذي سيرد على هذا الاستنتاج؟

قد يكون جوابي غريبا بعض الشيء او هو كسر لأفق التوقع . فأنا أرى أن مسؤولية الدفاع عن محور الحديث هو نفسه من تعرّض لها ومن واجبه أن يبرز خفايا قد تناقض النتائج حتى وان كان ذلك مايوصلنا لدوامة الإثبات والنفي في محل الشاهد فمن حقوق الشخص المتناول للدراسة أن تلم تلك الدراسة بكل جوانبه حتى وان كانت اقل من مقدار المقارنة ولكنها في كل الأحوال حاضرة ولو بالمقدار البسيط.

فهل حاول عزيز أن يكتب للحب ؟

سؤال قد يدفعه الفضول أو التحري. أما في دراسة حول هذا الكاتب فهو أمر واجب، ليس لأن الأدب لايتكامل إلّا بالحب. ولكن، الأدب يحلو بالحب،

فجمهوره الأوسع وطالبوه كثر، وهو أحد أوسع أبواب الشهرة والنجاح لأي كاتب.

ندلي بما ادلى به عزيز داخل في هذا المضمار، فكانت لدينا نماذج نستعرضها مما كتبه داخل. يقول:

أحدق في المرايا كي أراها . تلملمني كأني مبتغاها

حبيسة قلبها الفضي تبكي ليسقي دمها وردا وآها

إلى غدها أسابق كل ماض أبارك حاضرا يدني خطاها

تسلق طيفها أجفان قلبي لتوجز قصة يبقى صداها

رماد الحزن يحجب ما علينا فلا فرح يدوم هنا بلاها

وتحفظ ما تساقط من نجوم وتنسى ما تبدد من ضحاها

مشت نحوي فحاصرني ربيع يفرق ما تبقى من نداها

وأيضاً :

مِنْ حِنطَةِ الوجهِ أعيا الحقلُ نورسَهُ

وجمَّعَ الفَمُ في طيَّاتِهِ عِنَبا

وأشعلَ الكفَّ جمارٌ بهِ سرحَتْ

أصابِعُ النورِ خَجْلى تذرفُ العَتَبا

بِمقلتيها أرى روحي فأرسمُها

كشاعرٍ يرسمُ الأوهامَ والتَعبا

ياشعرك الفضيُّ مسكوب على كتفٍ

كأنَّ نوراً لعُ يستوعبُ الشهبا

وغيرها:

يا ليتني أعمى لأحضنَ في غنجْ .. موالَّها المجنون ما بينَ المُهَجْ

وأدورُ في عبثٍ كأني فاقدٌ ... أو لمْ يقولوا ما على الأعمى حرجْ

أتلمسُ الدرجَ الشفيفَ إلى الندى ..لابُدَّ مِنْ وصلِ القبابِ إلى درجْ

قالتْ وقدْ نفذَ التصبُرُ والهوى .. اصبرْ فإنَّ الصبرَ مفتاحُ الفرجْ

عيناكِ في لغةِ التصوفِ عالمٌ .. منها عنِ المألوفِ قلبي قدْ خرجْ

ودخلت محراب العيون مصليا .. كمحارب يتلو قصائد من هزج

هكذا كان كاتبنا حينما يداعب الغزل خياله فتطرح حروفه أغصانا محملة من حروف الوجد.. فنحن اخترناه كاتبا شاملاً ، حتى وإن عرف عنه الميل إلى ركن يستعذبه فينشد له.

خلاصة

كنّا قد تركنا عدة أسئلة بانتظار الإجابة وهانحن نصل للحلقة الأخيرة في سلسلة دراستنا. ومن تلك الأسئلة:

ـ ماذا يمكننا أن نطلق على كاتب يتفوق في أي جنس يكتب فيه؟. لابد أن يكون الجواب الآن، إن هذا كاتب مبدع علينا أن نحترم إبداعه ونتابعه، فنكون قد حضينا بفرصة التعرف عليه.

ـ هل ينجح متعدد المواهب؛ أم سيُضيع كل الطرق حتى طريقه الخاص أو الأساسي؟. ثبت لنا أن العطاء والحرص على النجاح سيحققان أفضل النتائج، وامتلاك أكثر من موهبة وقدرة على العطاء ستزيد من امكانية الكاتب وتعلي من قيمة إبداعه.

ـ أي جلباب ارتداه عزيز داخل حينما كتب مسرحيته التي فاز بها؟. عزيز وأي كاتب متمكن، لابد وأن يعطي لأي عمل شكله المرجو منه ٍفسيرتدي جلباب كاتب المسرح بكل أدواته دون أن يتخلى عن باقي ميزاته بل يوظفها في أي عمل يقوم بكتابته ومنها المسرح.

عزيز داخل استحق أن يكون اسما ينال الشهرة. فهو الذي طوّع مواهبه وصنع فيها أعمالا أدبية تستحق الإشادة. لذا كان مثالا مثالياً لهكذا دراسة، فقد استفدنا من تجاربه ونتاجه لتتضح لدينا الصورة التي أردنا أن تظهر بجلاء. ولنقل بعدها، نعم. إن تعدد المواهب أمر إيجابي، فصاحب المواهب المتعددة سيكون عمله أكثر نضجاً لأن الكاتب أكثر إمكانية ويمكنه تطعيم عمله بمزيج مايمتلك من قدرة وقابلية ليكون النتاج مدعوما من عدة مناهل وموارد.

حينما كتب عزيز داخل المسرحية وجدناه يسترسل بلغة بسيطة أقرب ماتكون للعاميّة وهنا يرشدنا تفكيرنا أن المسرح هو الفن الذي يكون بماس مباشر مع الجماهير وكلما بسطت لغته كان أكثر قربا من المتلقي. إن الكاتب كان ذكيا في هذا الجنس ولم يبذل أدبه إلّا بما يناسب جمهور ذلك الاتجاه وتلك نقطة تحسب له. أما في الشعر فقد كتبه بكل ألوانه وحتى العاميّ منه ، كما كتب في كل مواضيعه ليحاكي كل طبقات المجتمع وكل الأذواق، وهنا لم يكن ذلك اعتباطا، فعزز فكرتنا أن أديبنا لايكتب لنفسه فقط. فهو يراعي جماهير الأدب كما يراعي جودة العطاء. أما في الرواية فكانت ذاكرة الماء والحب إحدى الروايات الجميلة التي مرّت علي ، فاستأنست بها ، وسيجد بها شارع الأدب الكثير من التميّز. فقد احتوت على الحب والدين والمجتمع. إنها خاطبت الكثير من الشرائح أيضا، فتتعزز فكرتنا عن طبيعة اختيار الكاتب لمواضيعه ولغته. أما الأطفال فلم ينساهم عزيز وخصص لهم من جهده ما استحق عليه

التميّز وبالتالي الفوز وأخيرا القصص التي تنوعت بما تحتوي من حكايات مختلفة تناسب الأذواق المختلفة. عزيز الشمولي يكتب للجميع بنجاح. هذا النجاح الذي لايخلو من سلبيات ، علينا أن نذكرها وإن لم تكن لتؤثر على نتيجة موضوعة الكتاب. فقد كان عزيز داخل متمردا لايخشى أن يبوح بأمرين بكل وضوح لم يراعي فيه فئات كثيرة. فهي الشجاعة الممزوجة بالثقة. فهو لم يخفي موقفه الديني ولا السياسي. فكان ابن طائفته ، وكان خصم النظام السابق والناقم منه. رغم أن شخصيته تدل على إنسان حذر يكاد يشك على أنه خوف.

لا يفهم القارئ أن اختيار عزيز داخل هو تفضيل له. أو أنه يقبع على قمة الأدب، رغم إبداعه. إن محور الدراسة يتطلب أن نختار شخصاً يتميز بتساوي مناهل عطائه وكأنه يوزّع الأرغفة على أبنائه. هكذا يكون نتاجه الأدبي في الأجناس التي يكتب بها. وهو الكاتب

الحقيقي الذي يؤثر بالقارئ ويجيد اختيار مواضيعه بذوق وشجاعة.

عزيز داخل هو من أشار لنفسه بما أنتج. فاختارنا كي نختاره، رغم انتمائه لكوكبة المبدعين إلّا أنه اختار الكلاسيكية على التجديد وهذا مايحجم من امكانية أي كاتب لديه قدرة العطاء في أكثر من مضمار أدبي.

كان داخل، دليلنا على أن قدرة الإبداع تتوقف عند قدرة الكاتب في تطويع مواهبه والتعامل معها بما يمتلك من أدوات وحبه لأن يقدّم مايمتلك. فكل شيء يعود للكاتب نفسه وإن تعدد مواهبه أمر إيجابي حتماً وكأنما تساعد كل موهبة اختها وتكون إحدى دعامات نجاحها.

محتوى الكتاب